مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تَأْسِيسِيَّةُ الخِطَابِ وَتَعَدُّدُ دَلَالَاتِهِ
مُقَارَبَةٌ تَأْوِيلِيَّةٌ فِي أَقْوَالِ الإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام

عبد الله عليّ المحمَّد العلّاش [١]

١ جامعة الفرات /عضو هيأة تدريسيَّة، سوريا؛
dr.fa.mo.no.ya@gmail.com
دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٥/١١	٢٠٢٥/٦/١٦	٢٠٢٥/٦/٣٠

المجلـد (٢٢) العـدد (٣٤)
محرم ١٤٤٧هـ. حزيران ٢٠٢٥ م
DOI: 10.55568/t.v22i34.109-130

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يتناول هذا البحث مقاربة تأويليَّة لأقوال الإمام الصَّادق عليه السلام من خلال مفهوم **"**تأسيسيَّة الخطاب**"** وتعدُّد الدلالات، إذ يسعى إلى الكشف عن البنية العميقة للخطاب الإماميِّ، بوصفه أداةً معرفيَّة وروحيَّة تؤسِّس للمعنى ولا تكتفي بنقله، وينطلق البحث من الطرح الإبستمولوجيِّ الحديث للخطاب، بلحاظه نظامًا دلاليًّا يتقاطع فيه الذاتيُّ بالجمعيِّ، ثمَّ يناقش ظاهرة التعدُّد الدلاليِّ في النصوص الدينيَّة، لا سيَّما أقوال الإمام عليه السلام، التي تنفتح على آفاق تأويليَّة متعدِّدة من دون فقدان وحدتها الخطابيَّة، ويحلِّل البحث نماذج مختارة من تلك الأقوال وفق منظور تداوليٍّ وتأويليٍّ حديث، بهدف إبراز الوظيفة التأسيسيَّة للخطاب في بناء المرجعيَّات الفكريَّة والسلوكيَّة، وتوضيح كيف يعيد الإمام عليه السلام ترتيب العلاقة بين القيم والمعرفة والسلوك من خلال بنيات لغويَّة موجزة وعميقة المعنى.

الكلمات المفتاحيَّة: الإمام الصادق عليه السلام، الخطاب، تأسيسيَّة الخطاب، التأويل، الدلالة، تحليل الخطاب.

Constitutive Discourse and Its Multiple Meanings: An Interpretive Approach to the Sayings of Imam Al-Sadiq P.B.U.H)

Abdullah Ali Almuhammed Al-'Alash [1]

1 / Al-Furat University / Faculty of Arts / Department of Arabic, Syria;

dr.fa.mo.no.ya@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
11/5/2025	16/6/2025	30/6/2025

DOI: 10.55568/t.v22i34.109-130 Volume (**22**) Issue (**34**) Muharram 1447 AH June 2025 AD

CC BY NC

Abstract:

This study explores the concept of linguistic permissibility (al-jawaz al-lughawi) as presented by the leading Kufan linguist Al-Farrả (d. 207 AH) in Iṣlaḥ al-Mantiq(correction of logic) by Ibn Al-Sikkit (d. 244 AH). The topic is considered a pioneering one, as it has not been previously addressed under this title or with this specific approach. The research analyzes linguistic permissibility as the allowance to use various verbal forms without obligation or prohibition. It examines its types as classified by Al-Farrả: absolute, conditional, justified permissibility, and instances where his views diverged from others. Al-Farrả supports his positions with evidence from the Qur'an, Hadith, classical Arabic poetry and prose, and dialectal variations, highlighting the flexibility of the Arabic language and its rich expressive possibilities. The study also reveals key aspects of Al-Farrả's scholarly personality and his role in establishing a tradition of linguistic leniency based on authenticated sources. The researcher relies on a wide range of linguistic references and sources.

Keywords: linguistic permissibility, Al-Farrả, Iṣlaḥ al-Mantiq'Correction of Logic', Ibn Al-Sikkit, linguistic facilitation

- أهداف البحث:

أ. تحليل مفهوم "تأسيسيَّة الخطاب" في ضوء الطروحات المعاصرة، وبيان أبعاده الدلاليَّة والمعرفيَّة.

ب. دراسة ظاهرة التعدُّد الدلاليِّ في أقوال الإمام الصادق عليه السلام، بوصفها نصوصًا ذات كثافة تأويليَّة عالية.

ج. الكشف عن الطاقات التأويليَّة الكامنة في خطاب الإمام الصادق عليه السلام، وإبراز كيف تسهم في بناء رؤية معرفيَّة وسلوكيَّة متكاملة.

د. استنباط البعد التأسيسيِّ من خطاب الإمام الصادق عليه السلام.

هـ. إبراز دور المتلقِّي في إنتاج المعنى من خلال التفاعل مع النصِّ، وتوضيح كيف يتشكَّل المعنى ضمن سياقات متعدِّدة ومتداخلة.

- أهمِّيَّة البحث:

تبرز أهمِّيَّة هذا البحث من خلال:

أ. تسليطه الضوء على أحد الأبعاد في تحليل الخطاب الدينيِّ، وهو البعد التأسيسيِّ الذي تتجاوز فيه الأقوال وظيفتها التقريريَّة إلى بناء تصوُّرات معرفيَّة وروحيَّة وسلوكيَّة متكاملة.

ب. الإسهام في تجديد النظر إلى أقوال الإمام الصادق عليه السلام، بوصفها نصوصاً مُؤسِّسة لرؤى تأويليَّة تتقاطع فيها اللُّغة بالعقيدة، والفكر بالواقع.

ج. فتح آفاق جديدة لفهم الخطاب الدينيِّ في ضوء المناهج الحديثة لتحليل الخطاب، وإبراز كيف يمكن استثمار هذه المناهج لإعادة قراءته برؤية علميَّة تتفاعل مع السياق المعاصر، وتقديم أنموذج تطبيقيٍّ يساعد الباحثين في الدراسات الدينيَّة واللُّغويَّة على تطوير أدواتهم المنهجيَّة في فهم النصوص المركَّبة.

- منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليليِّ التأويليِّ، الذي يجمع بين تحليل النصوص واستنباط الدلالات الكامنة فيها من خلال مقاربة نقديَّة معاصرة تُراعي السياقات المعرفيَّة والثقافيَّة واللُّغويَّة التي يتشكَّل فيها الخطاب.

- المقدِّمة:

يتأسَّس هذا البحث انطلاقاً من أنَّ خطاب الإمام الصادق ﷺ يتطلَّب مقاربة تأويليَّة تكشف عن بنيته المعرفيَّة والرمزيَّة العميقة، فالنصوص الصادرة عن الإمام ﷺ تعدُّ خطابات تأسيسيَّة ذات طابع بنيويٍّ ومعرفيٍّ ترسِّخ أُسس التفكير الإسلاميِّ وتقدِّم رؤية شاملة للعالم والوجود والإنسان.

لقد قدَّم الإمام الصادق ﷺ خطاباً يمتاز بالغنى المعرفيِّ والتعدُّد الدلاليِّ، خطاباً يستدعي آليَّات قراءة متعدِّدة تتجاوز الفهم الحرفيِّ أو السطحيِّ، إلى مقاربات تأويليَّة تكشف عن الأنساق المعرفيَّة الكامنة، والبنى الرمزيَّة المؤسِّسة للمعنى، وإنَّ أهمِّيَّة خطاب الإمام ﷺ تكمن في محتواه من جهة، وفي الطريقة التي يُقدَّم بها من جهة أخرى، إذ يعتمد أسلوباً يجمع بين العمق العقليِّ والسعة الروحيَّة، ويتَّسم بالحواريَّة والانفتاح على مستويات متعدِّدة من الفهم، فهو خطابٌ يتحدَّث إلى العقل والوجدان معاً، ويتعامل مع المتلقِّي لا بوصفه متلقِّيًا سلبيًّا، إنَّما بوصفه شريكاً في إنتاج المعنى وتأويله، ويؤدِّي وظيفة مركَّبة تتجاوز الإخبار إلى بناء المعنى، وتشكيل الأفق التأويليِّ، وتوجيه الوعي نحو أنماط محدَّدة من الفهم والسلوك، وهذا البحث يسعى إلى تحليل خطاب الإمام ﷺ ويتعامل معه كنصٍّ حيٍّ وفاعل، يُسهم في بناء الوعي الدينيِّ والفكريِّ.

المبحث الأوَّل: الطرح الإبستمولوجيِّ لتأسيسيَّة الخطاب وتعدُّد الدلالات وأهمِّيَّتها:

أوَّلًا- تأسيسيَّة الخطاب:

قبل الحديث عن "تأسيسيَّة الخطاب" وما تقتضيه من أبعاد معرفيَّة ودلاليَّة، لا بُدَّ من الوقوف أوَّلًا على مفهوم الخطاب ذاته، بلحاظه المدخل الإبستمولوجيَّ الضروريَّ لفهم طبيعة "تأسيسيَّة الخطاب"، فالخطاب يُعدُّ في الحقول المعرفيَّة الحديثة أداةً مركزيَّة في تشكيل المعنى، وبناء المرجعيَّات، ولئن كان الخطاب في مراحله التقليديَّة يُنظر إليه بوصفه وعاءً للُّغة أو حاملاً للمحتوى، فإنَّ الطرح الإبستمولوجيَّ الحديث يتجاوز هذا التصوُّر، ليعالج الخطاب بوصفه نظامًا معرفيًّا متكاملاً، ينهض على بنية دلاليَّة تؤسِّس لتعدُّد المعاني وانزياحاتها، من هذا المنطلق، تتعدَّد تعريفات الخطاب بتعدُّد المقاربات النظريَّة، ومنها أنَّ الخطاب "بناء من الأفكار... يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلاليٍّ، أي بشكل مقدِّمات ونتائج... وإذا كان الخطاب يُعبِّر عن فكر صاحبه فهو يعكس أيضاً مدى قدرته على البناء، وإنَّه لما كان كلُّ بناء يخضع ولا بُدَّ لقواعد معيَّنة تجعله قادرًا على أداء وظيفته، فإنَّ الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد، أي على مدى استثماره لها لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدِّي مهمَّتها لدى هذا الأخير، مهمَّة الإخبار والإقناع"[١]، وجليٌّ أنَّ هذه الرؤية للخطاب تركِّز على البعد الإقناعيِّ للخطاب، وقدرة المتكلِّم على التنظيم المنطقيِّ، وتغفل دور المتلقِّي في إعادة تأويل الخطاب، وثمَّة من ينظر إلى الخطاب متَّخذاً مقاربة شكلانيَّة بنيويَّة، فالخطاب هو "النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقيَّة أو تنظيمها البنائيِّ"[٢]، فالتركيز على البنية النَّصِّيَّة والتنظيم الداخليِّ من

١ الجابري, محمد عابد. الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية, ط٥ بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية, (١٩٩٤), ١١.

٢ نفل, محمد نزهت, "طبيعة العلاقة بين الخطاب الدعائي والخطاب السياسي," مجلة الباحث العلمي, العدد٤٤٨. (٢٠٠٨):.

دون الالتفات إلى السياقات الاجتماعيَّة أو النفسيَّة أو السلطويَّة المصاحبة، ونظر بعض النقاد إلى الخطاب من خلال التداوليَّة، فرأوا أنَّه "أي منطوق أو فصل كلاميٍّ يفترض وجود راوٍ مستمع، وفي نيَّة الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما"[٣]، في حين رأى آخرون أنَّه "نصٌّ محكوم بوحدة كلِّيَّة واضحة يتألَّف من صيغ تعبيريَّة متوالية تصدر عن متحدِّث فرد يبلِّغ رسالة ما"[٤]، فثمَّة تركيز على وحدة الخطاب واتِّساقه، لكن هذه الرؤية تنطوي على رؤية تقليديَّة للمتكلِّم، وهو ما لم يعد مسلَّمًا به في الطروحات ما بعد البنيويَّة، إذ لم يعد الخطاب يُقرأ بوصفه تعبيراً متجانساً عن ذاتٍ، بل أصبح يُنظر إليه كمنتَجٍ نصِّيٍّ "له دلالات غير ملفوظة يدركها كلُّ من المتحدِّث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة"[٥]، وبناءً على هذا التحوُّل في فهم الخطاب، يمكن القول: إنَّ "التأسيسيَّة في الخطاب" تُحيل إلى الوظيفة العميقة التي يؤدِّيها الخطاب في إنتاج المعنى، وصياغة المفاهيم، وتوجيه أنماط التفكير والسلوك، فالخطاب ليس مجرَّد وسيلة لنقل الأفكار، إنَّما أداة تُؤسِّس لرؤى جديدة، أو تنقل وعياً من مستوى إلى آخر، عبر ما يتيحه من إمكانات إعادة تشكيل الواقع والتأثير فيه.

ثانياً- تعدُّد الدلالة:

يُعدُّ تعدُّد الدلالات سمة مركزيَّة في النصوص العميقة، ولا سيَّما في الخطاب الدينيِّ الذي يتجاوز المعنى الظاهريِّ إلى أبعاد تأويليَّة تتفاوت بحسب السياق الثقافيِّ والمعرفيِّ للقارئ، وعندما يمارس المتلقِّي فعل التلقِّي فإنَّه يحاول "اكتناه النَّصِّ، واستكشاف ما بداخله من إضمار، أو ما يُسمَّى بإخراج الدلالة"[٦]، والتعدُّد في الدلالة أو "التعدُّد في المعنى في اللُّغة العربيَّة يعني أنَّ اللَّفظ الواحد قد يحمل

٣ نفل، ٤٨.

٤ باسم خيري خضير, إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي ﷺ مقاربة تداولية، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة, ط١, ٢٠١٧, ٢٢.

٥ مرزوق, شريف. "مصطلح 'الخطاب' بين التراث العربي والفلسفة الحديثة: تنوع في الدلالات وغنى في المعاني," مجلة النص ٦, العدد٢. ٥٩ (٢٠٢٠).

٦ فيدوح, عبد القادر. نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، وقفية الإمام غازي للفكر القرآني, د.ت., ٤٤.

معاني متعدِّدة، كما أنَّ الجملة قد تحتمل دلالات مختلفة إذا لم توجد قرينة تحدِّد المعنى، وهكذا، يمكن أن يكون للجملة الواحدة معانٍ عدَّة بناءً على التقديرات الإعرابيَّة والاحتمالات، وهذه الظاهرة شائعة في اللُّغة العربيَّة ومجالها واسع؛ فقد يُستخدم... الجزء للدلالة على الكلِّ أو العكس، وقد تلعب ظاهرة نحويَّة دوراً في خلق هذه العلاقات، ويعود ذلك إلى المعنى أو إلى طبيعة التركيب اللُّغويِّ الذي يؤثِّر على معاني النحو ووظائفه"[٧]، أي إنَّ الغنى الدلاليَّ من السمات المؤسِّسة للنصوص الدينيَّة، إذ يُبنى المعنى في كثير من المواضع على الإيجاز والإضمار والانزياح الدلاليِّ، وهذه السمات تفتح المجال لتعدُّد القراءات والتأويلات، من دون أن يفقد النَّصُّ وحدته الخطابيَّة أو استقراره الموضوعيَّ، وهذا التعدُّد تعبيرٌ عن الطاقة التأويليَّة الكامنة في البنية النَّصيَّة نفسها، والمدقِّق في أقوال الأئمَّة عليهم السلام يلحظ أنماطاً من الخطاب الدينيِّ تتميَّز بتركيب تأويليٍّ بالغ الكثافة والعمق، يجمع بين الوظيفة التربويَّة والتأسيسيَّة من جهة، وبين التعدُّد الدلاليِّ من جهة أخرى، إذ لا تُقدَّم أقوال الأئمَّة عليهم السلام بوصفها تعليماتٍ مباشرة أو تعبيرات عقائديَّة فحسب، إنَّما تنطوي على بُعد يمكن تسميته بـ"تأسيسيَّة الخطاب"، أي إنَّها لا تكتفي بنقل المعنى، بل تسهم في بناء مرجعيَّة تأويليَّة جديدة، تعيد ترتيب العلاقة بين القيم، والمعرفة، والسلوك، وهو ما يسعى الباحث إلى توضيحه في سياق هذا البحث من خلال القراءة التأويليَّة لخطاب الإمام الصادق عليه السلام وهي "قراءة تفاعليَّة بالدرجة الأولى، وذلك بين النّصِّ والقارئ في شكل حوار متبادل بينهما، وهذه القراءة تركِّز على أفق توقُّع المتلقِّي"[٨]، ذلك أنَّ الإمام الصادق عليه السلام -كما سنرى في سياق هذا البحث- لا يصرِّح بدلالة واحدة، إنَّما يترك النَّصَّ مفتوحاً على نظام تداوليٍّ غنيٍّ، تتحرَّك فيه الدلالات بحسب مقام المتكلِّم بوصفه إمامًا ومرشدًا وروحيًّا، ومقام المخاطب الذي قد يكون فردًا أو جماعة، عاميًّا أو نخبويًّا، ومقام السياق،

٧ بركات, الحسين ."تعدد المعنى في التركيب الواحد في اللغة وفي التعبير القرآني," مجلة الإحياء ٢٤, العدد٣٥. (٢٠٢٤): ٢٦٨_٢٦٩.

٨ خديجة, حداد ."النص المفتوح دعوة للتأويل التفكيكية أنموذجاً," مجلة مقاليد, العدد١٥. ٣٨ (١٠١٨).

ويمكن القول: إنَّ أقوال الإمام الصادق عليه السلام تُجسِّد في كثير من الأحيان القول الذي يفتح أمام القارئ أفقًا دلاليًّا وروحيًّا.

ثالثًا- أهمِّيَّة تأسيسيَّة الخطاب وتعدُّد الدلالات:

تُعدُّ تأسيسيَّة الخطاب وتعدُّد الدلالات من المرتكزات الجوهريَّة في الدراسات التأويليَّة الحديثة، إذ لم يعد يُنظر إلى الخطاب على أنَّه مجرَّد وسيلة لنقل المعنى أو حاملاً دلاليًّا ثابتًا، بل بات ينظر إليه بوصفه فعلاً معرفيًّا تأسيسيًّا، وتنبع أهمِّيَّة هذا المفهوم من كونه يعيد ترتيب العلاقة بين النَّصِّ والقارئ، إذ يصبح المتلقِّي شريكاً في إنتاج المعنى، لا مجرَّد متلقٍ سلبيّ، ومن هذا المنظور، فإنَّ الخطاب الدينيِّ -وخصوصاً في أقوال الإمام الصادق عليه السلام- يُمثِّل نمطاً فريداً من الخطاب التأسيسيِّ، الذي يتجاوز تقرير الأحكام أو تقديم المعاني الجاهزة، ليفتح أفقاً دلاليًّا متعدِّد الطبقات، يدعو القارئ إلى ممارسة فعل التأويل انطلاقاً من موقعه الثقافيِّ والمعرفيِّ، والتعدُّد الدلاليِّ في الخطاب هو نتيجة لبنية لغويَّة مفتوحة تمكِّن المتلقِّي من إعادة بناء المعنى في كلِّ قراءة، دون أن يفقد وحدته البنيويَّة أو مرجعيَّته الأصليَّة.

المبحث الثاني- تحليل نماذج مختارة من أقوال الإمام الصادق عليه السلام:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ خطاب الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله، وآل البيت عليهم السلام، أحد الوسائل المهمَّة في نقل المفاهيم والقيم الدينيَّة، ليس من خلال التعليم المباشر فقط، إنَّما أيضاً عبر التأسيس لمعانٍ تتجاوز ظاهر القول إلى أفق تأويليٍّ رحبٍ، وقد تميَّز هذا الخطاب الدينيُّ بقدرته على التوليد المعرفيِّ والدلاليِّ، إذ امتزجت فيه الوظيفة التبليغيَّة بالوظيفة التأسيسيَّة، وهذا الامتزاج أضفى عليه طابعاً مركباً يجمع بين التوجيه والرمز، وبين البيان والإضمار، وبين الثبات والتأويل، وتمثِّل أقوال الإمام الصادق عليه السلام أنموذجاً غنيًّا لتحليل البنية العميقة للخطاب الإماميِّ، الذي يتأسَّس على رؤية معرفيَّة وروحيَّة متجذِّرة في فهم شامل للإنسان والوجود،

فهي نصوص تنفتح على تعدُّد دلاليٍّ يُمكِّن القارئ أو المتلقِّي من إعادة إنتاج المعنى وفقًا لسياقه الثقافيِّ والمعرفيِّ، وتكشف هذه الظاهرة عن طبيعة تأسيسيَّة للخطاب، تجعل من أقوال الإمام عليه السلام فضاءً تأويليًّا قابلاً للقراءة المتعدِّدة، من دون أن تفقد ترابطها الداخلي أو وحدتها الموضوعيَّة، ونسعى في هذه الفقرة إلى تحليل نماذج مختارة من أقوال الإمام الصادق عليه السلام من خلال مقاربة تأويليَّة تستند إلى مفاهيم تحليل الخطاب، بهدف الكشف عن البنية العميقة لهذا الخطاب وطاقته في إنتاج المعنى وتوجيه الفهم، وذلك عبر تحليل السياق والمعنى الظاهريِّ واستنباط التعدُّد في التأويل، والأبعاد التأسيسيَّة.

١- الرفق في المعيشة:

- قال الإمام الصادق عليه السلام: **"أيّما أهل بيت أعطوا حظَّهم من الرفق فقد وسّع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء، والتبذير لا يبقى معه شيء، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ رفيقٌ يحبُّ الرفق"**[٩].

يندرج هذا القول ضمن ما يُعرف في نظرية الخطاب بـ السياق التداوليّ، وهو الإطار الذي يُنتج فيه النصُّ ويُفهم من خلاله، بما يشمل الذات المتكلِّمة (الإمام)، والمتلقِّي (الجمهور المؤمن)، والموقف التداوليّ (نصيحة، وتأسيس رؤيويّ، وضبط سلوكيّ)، فالقول حكمة أخلاقيَّة، لكنَّه في الوقت نفسه يُؤدِّي وظيفة خطابيَّة قائمة على توجيه فعل سلوكيٍّ اجتماعيٍّ، فالإمام عليه السلام يُبلغ من جهة، ويُؤسِّس تصوُّراً معيشيًّا جديدًا من جهة أخرى، ويعكس هذا التوجيه جانبًا من الظروف الاجتماعيَّة التي كانت تتطلَّب ضبطًا للاستهلاك وتقنينًا للمعيشة في ظلِّ تحوُّلات اقتصاديَّة متسارعة، فجاء الخطاب بلغة رفيقة، لكنَّها مشحونة بدلالة رمزيَّة عالية تشير إلى مبدأ التوازن كقيمة وجوديَّة.

ومن حيث المستوى الدلاليّ المباشر يتكوَّن القول من وحدات خطابيَّة عدَّة تشكِّل

٩ مغنية, محمد جواد .تراث الإمام الصادق عليه السلام, ط١ بيروت: دار التعارف للمطبوعات, (٢٠٠١), ٥٨.

بنية حجاجيَّة تعتمد المقارنة والتضادّ، فالرفق يجلب الرزق، والرفق في التقدير خير من كثرة المال، أي إنَّ القيم تفوق الكم، والرفق صفة إلهيَّة، (والله يحبُّ الرفق) وفي هذا تأصيل عقائديٌّ، أمَّا من حيث التعدُّد في التأويل أو الانفتاح الدلاليِّ فإنَّ النَّصَّ ينفتح على مستويات تأويليَّة متعدِّدة، فهو خطاب تقشُّفي يرسِّخ قيم التدبير ضدَّ منطق التبذير الاستهلاكيِّ، ودعوة للتخلُّق بأسماء الله وصفاته، وهو خطابٌ موجَّه للكيان الأسري، لأنَّه يؤسِّس لنظام عيش متوازن، وقد يُفهم النَّصُّ كنوع من إنتاج إيديولوجيا مقاومة ضدَّ ثقافة الترف، ومن حيث الأبعاد التأسيسيَّة للخطاب يمكن القول: إنَّه على المستوى المعرفيِّ يُعيد تشكيل مفهوم الرزق بوصفه قيمة روحيَّة، وإداريَّة، لا مجرَّد وفرة ماليَّة، وينتج خطاباً مختلفاً حول (الغنى) بوصفه أثراً للرفق، لا لعوامل مادِّيَّة صرف، وعلى المستوى الروحي يعيدُ الخطابُ تشكيل الذات المسلمة في ضوء صفات الله، ويدمج السلوك الاقتصاديَّ بالنسق العقائديِّ (**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ رفيق يحبُّ الرفق**)، أمَّا فقهيًّا فهو يؤسِّس لمعيار الاعتدال في الإنفاق كأصل شرعي ضمنيٍّ، وبذلك يُمارس هذا الخطاب وظيفة تأسيسيَّة من خلال تأليف بنية دلاليَّة تُعيد بناء المفاهيم المركزيَّة (الرزق، والغنى، والبركة) من منطلق قيميٍّ روحيٍّ، يعيد تشكيل الوعي.

٢. التدبر في الأمور:

قال الإمام الصادق ﷺ لرجل: "أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبَّر عاقبته، فإنَّ يكُ رشداً فأمضِه، وإن يك غيًّا فانته عنه"[١٠].

ينتمي هذا القول إلى الخطاب التوجيهيِّ، وهو نوع من الخطابات يتميَّز بوجود فاعل قولي (الإمام) يتوجَّه إلى متلقٍّ (الرجل) بنصيحة سلوكيَّة، وتُفهم الرسالة هنا في ضوء ما يعرف بمقام التخاطب، إذ نحن أمام لحظةٍ تعليميَّةٍ فرديَّةٍ، تتضمَّن بعداً

١٠ مغنية, ٥٩.

أخلاقيًّا ومعرفيًّا، ومن الناحية التداوليَّة، يُعدُّ هذا الخطاب مثالاً واضحاً على ما يُعرف بالفعل الكلاميِّ التوجيهيِّ الذي يُمارس أثراً على سلوك المتلقِّي ويعيد تشكيل تصوُّراته، ويتمثَّل المعنى المباشر للنّصِّ في النصيحة العقلانيَّة التي تحثُّ الإنسان على التفكُّر في عواقب أفعاله قبل الإقدام عليها، فالنّصُّ يقسِّم الأفعال على صنفين: (الرشد، والغيّ)، والرسالة الأخلاقيَّة واضحة، لا تقدمْ على عمل حتَّى تُبصر نتائجه، وهذا النمط من النصوص خطاب إرشاديٌّ أخلاقيٌّ، يعتمد التبسيط اللُّغويَّ لتيسير التلقِّي، أمَّا على مستوى التعدُّد في التأويل فبالرغم من بساطة التركيب الظاهريّ، فإنَّ النصَّ ينفتح على تعدُّد تأويليٍّ غنيٍّ، يتجلَّى في المفاهيم المحوريَّة مثل: (الهمّ، والتدبُّر، والعاقبة، والرشد، والغيّ)، فهذه المفردات لا تُحدِّد دلالتها بشكل قطعي، إنَّما تظلّ مرنة وقابلة للتوسُّع السياقيِّ، فالرشد يشير إلى الصواب العمليِّ من جهة، وإلى الصواب الشرعيِّ، أو البصيرة الروحيَّة، أو حتَّى الاتِّساق مع المقاصد العليا للشريعة من جهة أخرى، كما أنَّ "الغيّ" لا يقتصر على الخطأ، وقد يمتدُّ ليشمل الجهل، والهوى، والتسرُّع، وهذا ما يجعل النصَّ خطابًا مفتوحًا للتأويل، حيث تبرز إلى الوجود فضائيَّة النصِّ وعدم محدوديَّته[١١].

ويُقدِّم هذا النص ما يمكن وصفه بتأسيسيَّة الخطاب، إذ يصف السلوك، ويؤسِّس لمنهجٍ معرفيٍّ في اتِّخاذ القرار قائم على التفكير المسبق وربط النتائج بالمقدِّمات، وبهذا، فإنَّه يتجاوز اللَّحظة الخطابيَّة المباشرة ليؤسِّس لرؤية متكاملة حول التحكُّم العقليِّ في الفعل، ويغدو ذا بُعدٍ معرفيٍّ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنَّ (الرشد) بوصفه غاية، يُمكن تأويله كهدف روحيٍّ، يتجاوز البُعد السلوكيَّ إلى تشكيل الوعي الأخلاقيِّ لدى المؤمن، وهو ما يرسِّخ البُعد الروحيَّ للنَّصِّ،

١١ الدخيل, محمد ماجد "التأويل بين ثنائية المصطلح والنظرية النقديّة المعاصرة," مجلة المجمع, العدد٩. ٢٨٨ (٢٠١٥).

أمَّا فقهيًّا، فإنَّ النَّصَّ يُحيل إلى مبدأ (اعتبار المآلات)، الذي يُعدُّ قاعدة مهمَّة في استنباط الأحكام، ويُعزِّز مفهوم العقل العمليِّ بوصفه جزءاً من التكليف، فهذا النَّصُّ القصير يجسِّد نموذجًا مثاليًّا للخطاب المُؤسِّس والمتعدِّد الدلالة، حيث يلتقي الفعل الكلاميُّ بالتأويل الرمزيِّ، ويتداخل المعنى الظاهريِّ مع البنية التأويليَّة العميقة، فينتج نصًّا يعلِّم ويوجِّه ويؤسِّس، في آنٍ، وهو ما يجعله مفتاحًا لفهم طبيعة خطاب الإمام الصادق ﷺ بوصفه خطابًا معرفيًّا، وروحيًّا وفقهيًّا يتجاوز الأطر التقليديَّة للتوجيه المباشر.

٣- الذنوب والرزق:

قال الإمام الصادق ﷺ: **"إنَّ الذنب يحرم العبد الرزق"**.

يقع هذا القول ضمن الخطاب الموجَّه القِيَميِّ، إذ يتوجَّه الإمام ﷺ إلى المُخاطَب غير المُصرَّح به برسالة تحذيريَّة ذات طابع سببيٍّ، والسياق يفترض وجود علاقة سببيَّة خفيَّة بين السلوك الأخلاقيِّ والنتائج الوجوديَّة، وهذا يضفي على القول صبغة وظيفيَّة تداوليَّة تتجاوز التبليغ إلى التنبيه الأخلاقيِّ، والمقولة تمتاز بكثافة الدلالة كونها تختزل نظامًا كاملاً من القيم والعقائد في جملة واحدة، والمعنى الظاهريّ أو المعنى المباشر للنَّصِّ هو أنَّ اقتراف الذنوب يُفضي إلى نقصان أو حرمان في الرزق، أي إنَّ الذنب يؤثِّر على الجانب الأخرويِّ، وعلى الواقع الدنيويِّ المعيشيِّ، وهذا الربط بين الفعل الأخلاقيِّ والنتيجة المادِّيَّة يمثِّل بعدًا جديدًا في فهم العلاقة بين الإنسان وبيئته الوجوديَّة، كما أنَّه يحمِّل الفرد مسؤوليَّة معنويَّة تجاه ما يطرأ عليه من تغيُّرات في رزقه ومعيشته، وعلى الرغم من وضوح الجملة، فإنَّها تنفتح على تعدُّد في التأويل ناتج عن البنية اللُّغويَّة المختزلة، فالذنب يمكن تأويله بما هو أبعد من المعصية الظاهرة، ليشمل انحراف النيَّة، والظلم، والفساد الباطني، كما أنَّ الرزق لا يُقصر على المال، إنَّما يشمل كلَّ ما يُنتفع به من علم، وصحَّة، وسكينة، وهداية، فالعلاقة بين الذنب والرزق تتجاوز المفهوم السطحيَّ إلى علاقة رمزيَّة

وجوديَّة، تجعل من الرزق تجلِّيًا لرضا الله، ومن الذنب تعطيلًا للعطاء الإلهيِّ، وهذا التأويل يتوافق ومفهوم الانزياح الدلاليِّ الذي "يقوم على استبدال المعنى الحقيقي للفظة بالمعنى المجازيِّ العميق، حيث يتم الانتقال من المعنى الأوَّل إلى الثاني"[١٢]، إذ تتوسَّع الدلالة انطلاقاً من البنية التركيبيَّة البسيطة لتُنتج حقلًا دلاليًّا رمزيًّا، أمَّا من حيث تأسيسيَّة الخطاب فإنَّ هذا القول يؤسِّس لرؤية علائقيَّة بين الأخلاق والمعيشة، ويعيد رسم العلاقة بين السلوك الفرديِّ والنظام الكونيِّ، ويعكس توجُّهًا معرفيًّا توحيديًّا يرى في الواقع امتداداً للسلوك الباطني، حيث يصير الرزق تجلِّيًا لما في النفس، لا مجرَّد معطى مادِّيٍّ، وتكشف مقولته عليه السلام عن طبيعة النظرة التربويَّة في زمن كثرت فيه التفسيرات السطحيَّة للرزق، فجاءت بلغة كثيفة تربط بين الظاهر والباطن، وتُحمِّل المفردات كـ"الذنب" و"الرزق" رمزيَّة تتجاوز معناها المألوف نحو بناء وعيٍ سببيٍّ أخلاقيٍّ.

ومن ناحية فقهيَّة يمكن أن يُقرأ القول من زاوية المقاصد الشرعيَّة، بوصفه تأسيسًا لقاعدة سلوكيَّة مفادها أنَّ المعصية تهدِّد النظام الشرعيَّ، وتهدِّد أيضاً توازن الحياة الفرديَّة، وهو ما يتلاقى مع قاعدة (الجزاء من جنس العمل)، ويمنح القول وظيفة تربويَّة رادعة، ويمكن القول: إنَّ هذا القول المكثَّف يجمع بين الإيجاز والإيحاء، وبين التوجيه الأخلاقيّ والتأويل الرمزيّ.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الإمام الصادق عليه السلام: **"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من أمكنه ذلك ولم يخف على نفسه ولا على أصحابه"**[١٣].

يتوجَّه الإمام الصادق عليه السلام إلى دائرة المتلقِّي المحتمل ممَّن تتوفَّر لديهم القدرة الظرفيَّة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسياق الذي يفترضه النصُّ

١٢ الخرشة, أحمد غالب النوري .أسلوبية الانزياح في النص القرآني, ط١ الأردن, عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع, (٢٠١٤), ٥٣.

١٣ مغنية, تراث الإمام الصادق عليه السلام, ٦١.

يتضمَّـن بعـدًا اجتماعيًّـا وأخلاقيًّـا، إذ يُشـترط في الفاعـل ألَّا يُعـرِّض نفسـه أو غـيره للخطر، وهـذا الاشـتراط يُظهـر وعياً بسـياق الفعـل ومآلاتـه، والمعنى المباشر للقـول هـو أنَّ الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر مـن الواجبـات المشروطـة بالقـدرة وعـدم الخـوف، أي إنَّ مـن كان قـادراً عـلى القيـام بهـذا الواجـب دون أن يلحق بـه أو بأصحابه ضررٌ، فإنَّـه مأمـور شرعًـا بأدائـه، وهـذه الصيغـة تظهـر ارتبـاط التكليـف الشرعـيَّ بالاسـتطاعة، أمَّـا مـن حيـث التعـدُّد في التأويـل فالقـول ينفتـح عـلى تأويـلات متعـدِّدة تتعلَّـق بـمفهوم (القـدرة)، فهـل هـي مادِّيَّـة فقـط أو تشـمل القـدرة المعنويَّـة والعلميَّـة والرمزيَّـة؟ و(الخـوف) فهـل يُقصـد بـه الخـوف الجسـديّ فقـط أو الخـوف مـن التأثـير الاجتماعـيّ أو الفتنـة أو الإسـاءة للمصلحـة العامَّـة؟ ودائـرة (الأصحـاب)، فهـل هـم الرفقـة المباشرة أو الجماعـة المحيطـة بالمكلَّـف؟

وهـذا الانفتـاح الـدلالي يعكـس قدرة الإمـام ﷺ عـلى التكثيف في خطابـه الدينـيِّ، فالنّصُّ يُبقـي مجـالاً لتقديـر المتلقِّـي بحسـب السـياق، دون أن يُفـرغ الخطـاب مـن مضمونـه الملـزم، وتظهـر الأبعـاد التأسيسـيَّة في القـول كونـه يُؤسِّـس لمعيـارٍ فقهـيٍّ دقيـق، وهـو أنَّ التكليـف مـشروط بالاسـتطاعة والأمـان، وهـو مـا يذكرنـا بقاعـدة (لا ضرر ولا ضرار)، ومـن ناحيـة أخـرى فـإنَّ النَّـص يدفـع باتِّجـاه إدمـاج المعطـى الأخلاقـي في الفعـل الاجتماعـي الواعـي، بحيـث لا ينفصـل الفعـل الدينـيُّ عـن شروطـه الزمانيَّـة والمكانيَّـة، ويحمـل القـول توجيهًـا تطهيريًـا؛ فالدعـوة للخـير والنهـي عـن الفسـاد ليسـت تكليفًـا اجتماعيًّـا فقـط، بـل وسـيلة لتزكيـة النفـس وتهذيـب الجماعـة، وبهـذا فـإنَّ هـذا القـول ينتمـي إلى الخطـاب التأسيسـيِّ المُؤسِّـس للوعـي الجماعـي، حيـث يُبنى عليـه تصـوُّرٌ خـاصٌّ لـدور الإنسـان المؤمـن في المجتمـع، فهـو خطـاب ينشـئ وعيـاً مركَّبًـا بـين الواجـب والواقـع، وبـين المبـادئ والمـآلات.

٥- الذنب والبلاء:

قال الإمام الصادق ﷺ: **"ليس من عرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض إلَّا بذنب، وما يعفو الله أكثر"**[١٤].

يمثِّل هذا النَّصُّ الموجز والعميق للإمام الصادق ﷺ خطابًا دينيًّا حافلاً بالإيحاءات الرمزيَّة والدلالات التأسيسيَّة، حيث يتحدَّث الإمام ﷺ إلى متلقٍّ يُفترض أنَّه يعاني من نوع من الابتلاء أو يسائل العلاقة بين الألم والسلوك، والسياق التداوليّ يُحيل إلى وضعيَّة تواصليَّة تُستحضر فيها مفاهيم الابتلاء، والذنب، والرحمة الإلهيَّة، ليُعاد توجيه وعي المتلقِّي نحو تفسير مختلف لواقع الألم.

والمعنى المباشر أنَّ كلَّ أذىً يصيب الإنسان بدءاً من العرق النابض إلى المرض الشديد هو نتيجة لذنب ارتكبه، غير أنَّ الله يعفو عن أكثر الذنوب فلا يُحاسِب عليها بالابتلاء، فالخطاب يعيد ربط الظواهر الجسديَّة والماديَّة بأسباب روحيَّة وأخلاقيَّة، أمَّا من حيث التعدُّد في التأويل فالنَّصُّ يفتح الباب أمام مستويات تأويل متباينة، فعلى المستوى الأخلاقي يمكن أن يُفهم الألم كعقوبة تطهيريَّة للذنب، فهو أداة إصلاح، ومن ناحية أخرى قد يفهم الألم بوصفه رسالة إلهيَّة تحفز على مراجعة النفس، دون أن يكون حتمًا عقابًا.

وتظهر الأبعاد التأسيسيَّة على المستوى الروحيِّ فالنَّصُّ يُرسي علاقة تربويَّة بين العبد وربِّه، تقوم على المحاسبة الذاتيَّة والإدراك بأنَّ العفو الإلهيَّ أوسع من العقوبة، وعلى المستوى المعرفيِّ أيضاً لأنَّه يُقدِّم تفسيراً غير مادِّيٍّ للمرض والابتلاء، ويرسِّخ فهمًا يتجاوز النظرة البيولوجيَّة المحضة، ومن ناحية فقهيَّة ربط الذنب بالابتلاء يرسِّخ أدبًا فقهيًّا يتَّصل بوجوب التوبة والمحاسبة والنظر في العواقب.

---

١٤ مغنية, ٦٢.

٦- البدعة والضلالة:

قال الإمام الصادق ﷺ: **"كلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالة سبيلها إلى النار"**[١٥].

ثمَّة خطابٍ دينيٍّ يتموضع في قلب البنية التحذيريَّة التشريعيَّة، وهو من النصوص التي تتَّسم بكثافة دلاليَّة عالية، إذ يوجِّه الإمام الصادق ﷺ خطابه إلى المتلقِّي، في مقام تقويم السلوك الدينيِّ والمعرفيِّ، والسياق يشير إلى انشغال الإمام ﷺ بالحفاظ على نقاء الشريعة ومقاومة الانحراف، والمعنى المباشر أنَّ كلَّ بدعة – أي ما أُحدث في الدين بلا أصل شرعيٍّ – هي ضلالة، وهذه الضلالة تؤدِّي بصاحبها إلى النار، فالنَّصُّ يربط بين الابتداع والانحراف عن الحقِّ، ثُمَّ يربط الانحراف بالعقوبة الأخرويَّة، ورغم صيغة الإعمام القطعيِّ، إلَّا أنَّ الخطاب مفتوح على تعدُّد في التأويل، تبعاً لتعريف البدعة نفسه، حيث تُفهم البدعة في ضوء ضوابط التشريع، بأنَّها محصورة في ما يخالف النَّصَّ أو يُنسب للدين ما ليس منه، ويمكن أن يُفهم النَّصُّ كآليَّة لحماية الهُويَّة الدينيَّة في لحظة تهديد فكريٍّ أو سياسيٍّ، وتتجلَّى الأبعاد التأسيسيَّة من خلال تأسيس النَّصِّ لقاعدة معياريَّة صارمة تجاه البدعة، تنعكس في الفقه الشيعيِّ من خلال موقف نقديٍّ تجاه الابتداع، وعلى المستوى المعرفيِّ يرسي الخطاب أفقاً تأويليًّا محافظاً، يرفض الانحراف عن الأصول، ويؤكِّد مركزيَّة النَّصِّ الثابت، ويُعيد تشكيل الوعي الدينيّ بحيث يربُط الانحراف السلوكيَّ بمصير أخرويَّ، فهذا الخطاب يتَّخذ من اللُّغة أداة لإعادة تشكيل المجال التأويليّ ومنع الانزياحات التي تهدِّد التوازن المعرفيَّ والقيميَّ للمجتمع الدينيِّ.

وقد جاء هذا التحذير في سياق مرحلة اتَّسمت بتعدُّد الاتِّجاهات والمذاهب، إذ برزت الحاجة لضبط المفاهيم الدينيَّة، فجاء الخطاب بلغة تقريريَّة مشدَّدة، تستعمل مفردات كـ"الضلالة" و"النار" بإيقاع رمزيّ يهدف إلى إعادة ترسيخ الهُويَّة الدينيَّة في وجه التهديدات الفكريَّة.

---

١٥ آل ياسين, محمد حسن. وصايا الإمام الصادق ﷺ لطلبة العلم وأصحابه موقع الاجتهاد, (٢٠٢٢), ٢٠٠.

٧- الودّ بين الإخوة:

قال الإمام الصادق ﷺ: **"يا بن النعمان، إن أردت أن يصفو لك ودَّ أخيك فلا تمازحنّه، ولا تمارينّه، ولا تباهينّه، ولا تشارّنه"**[١٦].

نحن أمام خطاب أخلاقيٍّ يتَّصل ببناء العلاقات، ويتَّخذ شكل التوجيه الشخصيِّ ضمن مقامٍ تعليميٍّ له طابع إنسانيٌّ رفيع، إذ يتوجَّه الإمام الصادق ﷺ إلى (ابن النعمان)، في مقامٍ حواريٍّ تربويٍّ، يهدف إلى ترسيخ القيم الأخلاقيَّة في العلاقات الإنسانيَّة، وتحديداً العلاقة الأخويَّة، ويتَّخذ الخطاب شكل نصيحة شخصيَّة لكنَّها تتضمَّن إعمامًا قابلاً للاستبطان والتطبيق الجماعيِّ، والمعنى الظاهريِّ يتضمَّن أربعة نواهٍ موجَّهة لحفظ الودِّ الأخويِّ: (لا تمازحه) أي لا تُفْرِط في المزاح حتَّى لا يسقط الاحترام، (لا تمارِه) أي لا تجادله على نحو يفضي إلى الخصام أو التشكيك، (لا تباهِه) أي لا تَتَعالى عليه أو تتفاخر أمامه، (لا تشارّه) أي لا تدخل في صراع أو خصومة حادَّة معه، فالقيام بهذه الأفعال يهدِّد نقاء العلاقة ويفسد صفاء الودِّ بين الإخوة، والنصُّ بالرغم من أنَّه مكثَّف، إلَّا أنَّه يحتمل قراءات متعدِّدة، فعلى المستوى السلوكيِّ الأخلاقيِّ تظهر فيه أهمِّيَّة التحفُّظ السلوكيِّ لحماية العلاقات، وعلى المستوى الاجتماعيِّ النفسيِّ يمكن فهم التوجيه على أنَّه وعي عميق بطبيعة النفس الإنسانيَّة وحدودها في التفاعل الاجتماعي، فالألفاظ في هذا القول محمَّلة بدلالات نفسيَّة دقيقة، فجاءت أفعال النهي متقاربة الإيقاع والتنغيم "تمازحنّه، ولا تمارينّه..." لتحدث أثراً نفسيًّا جماعيًّا يرسِّخ سلوكاً وقائيًّا في زمن كانت العلاقات الأخويَّة تُهددها العصبيَّات والتفاخر الاجتماعيّ.

وعلى مستوى القراءة الرمزيَّة يمكن الذهاب إلى أنَّ الخطاب يُحيل إلى حفظ الجماعة وتماسكها، فالأخوَّة هنا يمكن أن تُقرأ مجازاً على مستوى المجتمع الإيمانيِّ، وهذا الانفتاح التأويليُّ يُظهر التعدَّد الدلالي في حقول عدَّة، حيث يتجاور المعنى

١٦ المجلسي ,محمد باقر. بحار الأنوار بيروت: دار إحياء التراث العربي, (١٩٨٣), ٢٩١.

الأخلاقيُّ المباشر مع أبعاد اجتماعيَّة وتربويَّة ودينيَّة أعمق، ومن حيث الأبعاد التأسيسيَّة فإنَّ الخطاب يُنتج تصوُّراً عن العلاقات الإنسانيَّة قائماً على الاتِّزان والانضباط السلوكيِّ، ويؤسِّس لنمط خاصٍّ من أخلاقيَّات التواصل، ويعكس دعوة إلى تصفية القلب والعلاقة من الشوائب، ولعلَّ هذه الدعوة تندرج ضمن مفهوم (تزكية النفس)، وهو جانب معروف في الخطاب الإسلاميِّ، ومن جانب آخر يُعدُّ هذا القول لبنة تأسيسيَّة في بناء نموذج الجماعة الأخويَّة المتماسكة، ويمكن القول: إنَّ هذا القول يتجلَّى فيه ما يُسمِّيه النقاد بالخطاب القيميِّ، حيث تُستخدم اللُّغة لضبط التفاعلات وتحقيق الانسجام بين الأفراد، والإمام الصادق عليه السلام يُعيد توجيه السلوك من خلال النصيحة التأسيسيَّة.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة المعرفيَّة التي جمعت بين التحليل النَّصِّيِّ والرؤية التأويليَّة، يمكن القول: إنَّ الخطاب الصادر عن الإمام الصادق عليه السلام يمثِّل نموذجاً فريداً للقول المؤسِّس، فقد كشف البحث عن طبيعة هذا الخطاب التي تتجاوز الإبلاغ إلى التأسيس، حيث تتداخل الأبعاد المعرفيَّة والعرفانيَّة والوجوديَّة في نسيج واحد، فيغدو القول فعلاً تأسيسيًّا يرسم معالم الوعي ويوجِّه سلوك المتلقِّي نحو مستويات عليا من الإدراك، وقد تبيَّن من خلال تحليل عيِّنة من أقوال الإمام الصادق عليه السلام أنَّ خطابه يتّسم بالمرونة والتكثيف والقدرة على استيعاب قراءات متعدِّدة، دون أن يفقد أصالته أو بنيته المركزيَّة، فهو خطابٌ لا يُغلق المعنى، إنَّما يفتحه ضمن أفق يقبل بالتأويل المدعوم بالنَّصِّ والسياق والمقاصد، وهذه ميزة تجعل من النصوص الإماميَّة مصدراً دائم الحضور في مختلف الأزمنة، وقابلة لأن تُعاد قراءتها دون أن تفقد روحها، ومن النتائج اللافتة أنَّ أقوال الإمام الصادق عليه السلام تبني عالماً معرفيًّا وروحيًّا كاملاً، ينبثق من العلاقة العميقة بين الإنسان والوجود، ويعيد ترتيب الأولويات المعرفيَّة والأخلاقيَّة في ضوء رؤية توحيديَّة شامل، كما تبيَّن أنَّ أقوال الإمام الصادق عليه السلام لا تنفصل عن المنابع الكبرى للوحي، فتتعالق بعمق مع القرآن الكريم والسنة النبويَّة، غير أنَّ الإمام عليه السلام قد صاغها في ثوبٍ جديدٍ يعكس سعة علمه ورسوخ مقامه، ويواكب نمط حياته الوقور، الذي اتَّسم بالحكمة في مواجهة معطيات الحياة والتعامل مع الناس، وأنَّ لغته مشبعة بالإيحاءات، وأسلوبه مشرقاً بالمعاني، بحيث يتوجَّه خطابه إلى المتلقِّي أيًّا كانت درجته المعرفيَّة، فيفهمه بقدر استعداده، ويستضيء به بقدر قابليته، كما أنَّ لغة الإمام الصادق عليه السلام تعكس حياته وشخصيَّته الجليلة، بما فيها من سكينة ووقار، وهي ليست بعيدة عن غزارة علمه وعمق نسبه الشريف المتَّصل ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله، لا سيَّما الإمام عليّ عليه السلام، الذي تتجلَّى بصماته الفكريَّة والروحيَّة في

بلاغة التعبير واتِّزان الخطاب، وهو ما يدلُّ على حكمة جليلة في بناء الخطاب، تجعله قابلاً للفهم والتأويل في آنٍ، دون أن يفقد عمقه أو وحدته، وتجعله صالحاً لأن يُقرأ بعدة أدوات منهجيَّة، بدءاً من الفهم التقليديِّ وصولاً إلى التحليل التداوليِّ والنقد الخطابيِّ الحديث.

وقد برهن البحث أنَّ تفعيل المصطلحات النقديَّة الحديثة، مثل التأسيس الخطابيّ، التعدُّد الدلالي، وأفق التلقِّي، وسياقات المعنى، في تحليل النصوص الدينيَّة يمكن أن تسهم في كشف أعماقه إذا ما استُخدم بحذر وتأصيل معرفيٍّ يراعي خصوصيَّة هذا النوع من الخطاب، ويمكن القول: إنَّ خطاب الإمام الصادق ﷺ ليس مجرَّد موروث دينيٍّ بل منهج ومشروع معرفيٍّ مفتوح، يُخاطب العقل والروح، ويتيح فرصاً متجدِّدة للقراءة، ومن هنا، فإنَّ العناية بهذا الخطاب يجب أن تكون في الحفظ والاستظهار، وفي الفهم والتحليل وتفعيل في السياقات المعاصرة أيضاً، وهو ما سعى إليه هذه البحث.

المصادر:

آل ياسين, محمد حسن. وصايا الإمام الصادق عليه السلام لطلبة العلم وأصحابه. ، موقع الاجتهاد, ٢٠٢٢.

الجابري, محمد عابد. الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية. ط٥. بيروت-لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية, ١٩٩٤.

الخرشة, أحمد غالب النوري. أسلوبية الانزياح في النص القرآني. ط١. الأردن, عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع, ٢٠١٤.

الدخيل, محمد ماجد. "التأويل بين ثنائية المصطلح والنظرية النقديّة المعاصرة." مجلة المجمع, العدد. ٩ (٢٠١٥).

المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٨٣.

بركات, الحسين. "تعدد المعنى في التركيب الواحد في اللغة وفي التعبير القرآني." مجلة الإحياء ٢٤, العدد. ٣٥ (٢٠٢٤).

خديجة, حداد. "النص المفتوح دعوة للتأويل التفكيكية أنموذجاً." مجلة مقاليد, العدد. ١٥ (١٠١٨).

خضير, باسم خيري. إستراتيجيات الخطاب عند الإمام علي عليه السلام مقاربة تداولية، مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة. ط١., ٢٠١٧.

فيدوح, عبد القادر. نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، وقفية الإمام غازي للفكر القرآني, د.ت.

مرزوق, شريف. "مصطلح 'الخطاب' بين التراث العربي والفلسفة الحديثة: تنوع في الدلالات وغنى في المعاني." مجلة النص ٦, العدد. ٢ (٢٠٢٠).

مغنية, محمد جواد. تراث الإمام الصادق عليه السلام. ط١. بيروت: دار التعارف للمطبوعات, ٢٠٠١.

نفل،, محمد نزهت. "طبيعة العلاقة بين الخطاب الدعائي والخطاب السياسي." مجلة الباحث العلمي, العدد. ٤ (٢٠٠٨).

References

Al Yasin, M. H. (2022). Commandments of Imam al-Sadiq (A.S.) to Seekers of Knowledge and His Companions. Al-Ijtihad Website.

Barakat, A. H. (2024). Multiplicity of Meaning in a Single Structure in Language and in Qur'anic Expression. Al-Ihya Journal, 24(35).

Al-Dakheel, M. M. (2015). Interpretation Between the Duality of Terminology and Contemporary Critical Theory. Al-Majma Journal, (9).

Faydouh, A. Q. (n.d.). The Theory of Interpretation in Arab-Islamic Philosophy. Imam Ghazi Endowment for Qur'anic Thought.

Hadad, K. (2018). The Open Text: A Call for Deconstructive Interpretation as a Model. Maqalid Journal, (15).

Al-Jabri, M. A. (1994). Contemporary Arab Discourse: An Analytical Critical Study (5th ed.). Center for Arab Unity Studies.

Al-Kharsha, A. G. A. (2014). Stylistics of Deviation in the Qur'anic Text (1st ed.). Academicians for Publishing and Distribution.

Khudeir, B. K. (2017). Discourse Strategies of Imam Ali: A Pragmatic Approach (1st ed.). Nahj al-Balagha Sciences Foundation at the Imam Hussain Holy Shrine.

Majlisi, M. B. (1983). Bihar al-Anwar. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.

Marzouq, S. (2020). The Term 'Discourse' Between Arab Heritage and Modern Philosophy: Diversity in Connotations and Richness in Meanings. Al-Nass Journal, 6(2).

Mughniyah, M. J. (2001). Legacy of Imam al-Sadiq (A.S.) (1st ed.). Dar al-Ta'aruf lil-Matbou'at.

Nafel, M. N. (2008). The Nature of the Relationship Between Propaganda Discourse and Political Discourse. Al-Baheth Al-Ilmi Journal, (4).